

اسم المادة: فن المراوغة

من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: فن المراوغة
من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية
لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد؛

حياكم الله إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات، ومرحبًا بكم ولقاء جديد مع الوقفات التربوية مع السنة النبوية، وأبدأ معكم بهذا الأثر:

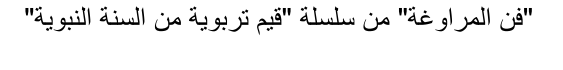
عن ابن أبي نُعم قال: "كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ، وسَأَلَهُ رَجُلٌ عن دَمِ البَعُوضِ، فَقالَ: مِمَّنْ أنْتَ؟ فَقالَ: مِن أهْلِ العِرَاقِ، قالَ: انْظُرُوا إلى هذا، يَسْأَلُنِي عن دَمِ البَعُوضِ، وقدْ قَتَلُوا ابْنَ النبيِّ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-، وسَمِعْتُ النبيَّ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- يقولُ: هُما رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيا."[1]

لقطة فريدة من نوعها بتلقي الضوء على أمر مهم جدًا، تعال الأول بس نشوف المشهد، رجل جاء إلى الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بيسأله سؤال، سؤال فقهي، بيسأله عن ايه؟ عن دم البعوض: لو فيه بعوضة جت على الملابس مثلًا واحد ضربها بيطلع منها دم، إيه حكم الدم اللي خارج من البعوضة؟ في ذهني هيقوله يا إما طاهرة يا إما نجسة، خلاص سؤال فقهي بسيط جدًا وإجابته برضه فقهية بسيطة جدًا، لكن الحقيقة لأ، الإجابة كانت إجابة منهجية تربوية ولم تكن إجابة فقهية عملية.

أول حاجة؛ سيدنا عبد الله بن عمر سأله سؤال، ايه هو؟ من أين أنت؟ هو الراجل باين عليه إن هو مش من أهل المدينة، من أين أنت؟ طب ليه بيسأله من أين أنت؟ ايه موقع سؤال من أين أنت في سؤال عملي؟ أقولك هكذا يكون فَهم الإنسان المعلم المربي، إنك تفهم طبيعة اللي قدامك ونفسيته وخلفياته ووجوده في بيئة معينة، ممكن يكون له آثار معينة في طريقة ومنهجية تفكيره، فأول حاجة سأله أنت منين؟ قال له من العراق، أول ما قاله كلمة من العراق اختلفت الإجابة تمامًا، اشمعنى؟ اشمعنى يعني، إيه اللي كان في أرض العراق؟ أقولك في منتهى البساطة في هذا الزمان تحديدًا، في الوقت اللي كان فيه هذه الواقعة، أرض العراق اشتهرت بوجود الكثير من الفتن، وبالفعل كثير من المسائل اللي كان فيها خلافات في أمور عقدية وأمور منهجية، وحدوث الكثير من الوقائع اللي كان فيها فتن وفيها مقتلة وفيها دم حدثت في أرض العراق.

فهنا سيدنا عبد الله بن عمر بيوجّه هذا السائل وبيوجهنا احنا كذلك لأمر منهجي عظيم، أنت كواحد عايش في هذه البيئة اللي كثرت فيها الفتن وبلغ بها الحال إن انتشر فيها سفك الدماء والاستهانة بهذا الأمر العظيم سفك دم المؤمن، عندما تأتي للسؤال

[1] صحيح البخاري




لابد أن تسأل أولًا عن الأمر المهم، إنما إن أنت تتشاغل بدم البعوضة ولا تتشاغل بدماء المسلمين التي تراق عندكم في بلادكم إذًا أنت عندك منهجية خاطئة، فيه خلل عندك؛ خلل منهجي وخلل فكري.

نفس القضية برضه حدثت عند سالم بن عبد الله بن عمر، نفس الموقف حصله، سيدنا سالم بن عبد الله بن عمر قال –مخاطبًا لأهل العراق–: "يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة، وأركبكم للكبيرة! سمعت أبي عبد الله بن عمر، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنَّ الفِتْنَةَ تَجِيءُ مِن هاهُنا وأَوْمَأَ بيَدِهِ نَحْوَ المَشْرِقِ مِن حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنا الشَّيْطانِ وأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ، وإنَّما قَتَلَ مُوسَى الذي قَتَلَ، مِن آلِ فِرْعَوْنَ، خَطَأً فقالَ اللَّهُ –عزَّ وجلَّ– له: "وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْناكَ مِنَ الغَمِّ وفَتَنَّاكَ فُتُونًا"[٢] نفس المنهجية تشرَّبها سيدنا سالم ابن سيدنا عبد الله بن عمر، فقام في أهل العراق يعظهم ويعلِمَهم أنتم تتشاغلون بأمور صغيرة وتتناسون أمرًا عظيمًا عندكم، انتشر في بلادكم فتن عظيمة وأمور فيها سفك للدماء وتتشاغلون بهذا، بشغل أذهانكم بمسائل لا ترتقي لإن هي تشغلكم أصلًا في الأمور العادية فما بالك بإن هي تشغلكم في أمر مثل أمر الفتنة اللي تحدث بين المسلمين وقتالهم ونحو هذا، فالأمر هنا يحتاج إلى تعديل، ازاي هذه العقلية يستقيم إن هي تبقى ماشية كده طبيعي مع وجود هذا الخلل الرهيب فيها؟ المفترض إن الإنسان يهتم، بيبقى عنده درجات للاهتمام فيه حاجة مهمة جدًا، حاجة مهمة بس، حاجة أقل في الأهمية، فذهنه بينتقل إلى الاهتمام بالأمور العظيمة ويكون اهتمامه أقل فيما هو أدنى، واهتمامه أقل فيما هو أدنى، ده الترتيب الفكري والمنهجي، لكن إن أنتم تتشاغلوا بأمور صغيرة ليتم طمس الأمر الأكبر يبقى هنا فيه إشكالية عظيمة.

عشان كده ذكر لهم سيدنا سالم، ذكر لهم ايه؟ قوله –تعالى–: "وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا" طه:٤٠، أي استدل أن سيدنا موسى –عليه السلام– أصابه الغم لما قتل هذا الرجل قتلًا وكان قتله خطأ، لكن أصابه الغم، فأنتم لا يصيبكم أي هم ولا غم ولا تتشاغلوا وبينكم السيوف تعمل عمدًا، ويكون القتال قتالًا فيه هرج وفيه كثرة سفك للدماء واستسهال سفك الدماء، وأنتوا هذا الأمر لا يشغلكم ولا تسألون عنه أصلًا؟

هنا دي مهمة جدًا، أمر مهم جدًا، فيه نوع من أنواع الحيل النفسية، فيه خداع كده النفس بتمارسه وبتحترفه في كثير من الأحوال، اللي هو ازاي إن الواحد يتجمَّل أمام نفسه، ممكن واحد يكون بيعمل أمور عظيمة؛ بلاوي، لكن هو حريص برضه على أنه يكون عنده نوع من أنواع السلام الداخلي والتماسك، نفسيته تكون متماسكة طب ايه الحل؟ هو عارف إن هو بيعمل حاجات غلط بل ممكن يكون بيعمل بلاوي كمان، لكن هو بيستطيع بشيء كده من الاحترافية إنه يجمل الصورة الداخلية، يستطيع إن هو يحصل جواه نوع من أنواع الرضا الداخلي عن نفسه، إيه هو التكتيك اللي بيمارسه عشان يقدر إن هو يحسن الصورة؟ في منتهى البساطة هو بيستطيع إن هو يشاغل عقله، يخليه يتشاغل بإنه يبص بعيد عن المنطقة اللي مفترض يبص عليها، بدل ما يركز على منطقة العيب اللي عنده، بدل ما يركز على منطقة الخلل اللي عنده، بدل ما يركز على منطقة النقص اللي عنده، بيبدأ يشغل ذهنه بإن هو ينظر إلى أمر آخر حتى يتجاوز هذه المنقصة اللي موجودة.

يبدأ يكون هذا التكتيك نوع من أنواع الهروب، لكن الإنسان اللي عنده صدق وعنده رغبة حقيقية في إنه يكون إنسان صادق صالح المفترض إنه يكون عنده هذا النوع من الوقوف بصدق بنفسه أمام نفسه، ويقف وقفة صدق مع نفسه بين يدي ربه، ميسترسلش مع هوى نفسه، ولا يسترسل مع هذه الحيل، النفس تحتال عليك، ولاُ يقبل من الإنسان مثل هذا الهروب حتى لو كان

[٢] صحيح مسلم

هذا الهروب نحو الأجمل، إنك هتقفز كده فوق هذا العيب وتتشاغل بشيء حلو، لا يا سيدي لن يقبل منك هذا، إنما عليك أن تشغل نفسك بردعها عمَّا فيها من الزلل والخلل والباطل قبل أن تشاغلها أو تنشغل بما تشغلك بها من قليل من الحق الذي عندها.

شوف بقى الكلام المنهجي الجميل اللي ذكره الحافظ ابن حجر تعليقًا على هذا الأمر قال: "وهاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها" اسمع الكلام "التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها، وتشابهت أعماله في التقوى والورع" الإنسان اللي بيدقق في الحاجات الصغيرة الحلوة، وبيركز في دقائق المسائل كويسة ده المفترض يكون إنسان أصلًا على حال من الورع في أموره كلها، فوصل به الحال إنه لما اجتهد على نفسه وصارت نفسه تطاوعه في الصلاح وفي الورع، في عظائم الأمور يُقبل منه أن يدقق في صغائر الأمور.

تعالى كده نشوفها برضه بمنظورنا احنا الدنيوي؛ تخيل كده في الدراسة في أمور الدراسة العادية؛ يا ترى لو فيه واحد هو الحمد لله من الناس المتفوقين جدًا، من الأوائل في دفعته، فعنده مسألة في المنهج هي مسألة فرعية، ممكن تكون مسألة مش مهمة اوي في صلب المادة، لكن بتكون نوع من أنواع المكملات، استطرادة كده في حاجة معينة، ممكن تكون يعني حاجة على هامش مسألة أكبر، فلو واحد أصلًا مذاكر المنهج كويس، مقفل المنهج حلو، فاهم وواعي وقادر إن هو فعلًا إذا كان في موقف امتحان يستطيع إن هو يجاوب وعنده حصيلة علمية كويسة، واحد زي ده يقبل منه إنه يسأل في مسألة فرعية متفرعة من مسألة فرعية وهكذا، يقبل منه، مفهومة إن واحد أصلًا هضم المنهج كويس وشغال كويس وهو متفوق، اللي حاله كده ده؛ آه لما بيدور بقى على إن هو تسعة وتسعين في المية فلا أنا مش عاجبني أنا عايز أبقى تسعة وتسعين ونص في المية مقبولة منه.

طب لو واحد مش مذاكر أصلًا وأغلب المنهج مافتحوش أصلًا، مش مهتم يمكن بالدراسة أصلًا، هل يقبل من واحد زي ده إنه يجي يناقش في المسألة الفرعية المتفرعة من مسألة فرعية المتفرعة على مسألة متفرعة من مسألة، هل يقبل منه هذا؟ بالحساب العقلي أصلًا لا يقبل، يا ابني روح ذاكر وابقى تعال اتكلم، روح افهم المسألة الكبيرة، روح افهم المادة نفسها، أنت مش عارف المادة أصلًا بتتكلم عن ايه، لا يقبل منك إنك تيجي تجادل أو تناقش في مسألة فرعية وأنت مش عارف أصلًا المنهج كله بيتكلم على ايه ولا أنت فارق معك المادة دي من المادة دي.

نفس القضية برضه في العمل الصالح، وفي منهجية العلم الشرعي، وفي منهجية السلوك، لا يُقبل إن الإنسان يدقق اوي في مسائل الورع وهو أصلًا والغ في المعاصي، ده عبارة عن نوع من الاستغفال، دي المنهجية اللي بيكلمنا عليها الحافظ ابن حجر فيقول: "فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة، ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشُبَه، فإنه لا يُحْتَمل له ذلك، بل ينكر عليه" شوف الكلام واحد أصلًا مقضيها براحته بيعمل أي حاجة، بيطلق نظره في الحرام، لسانه في حرام، لا يتورع عن المال الحرام ويجي بعد كده؛ لا، أصل والله فيه أنا عايز أسأل على الحتة دي بقى، أصل أنا خايف الحتة الصغيرة دي يكون فيها شبهة، يا حبيبي أنت يعني فاتحها مفيش عندك أصلًا أي موانع لارتكاب الموبقات، الحرام عندك أساسًا مفيش له رادع، يا ترى باب شبهة ايه ده اللي أنت متوقف فيه؟! ده أنت لا يقبل منك هذا، رغم إن الفعل في ظاهره حلو اه، في ظاهره ما شاء الله ده بيتورع، يعني ده مفترض إن احنا نعينه عليه، يعني مفترض إن احنا نكافئه، الله ما شاء الله ربنا يبارك فيك ده أنت ربنا يكتر من أمثالك، لأ، لا أكثر الله من أمثاله، ولا يحمل له هذا ولا يقبل منه هذا، ليه؟ دي منهجية استغفال يا فندم، ده اللي احنا بنتكلم عليه استغفال واستهبال، لما أنت مش فارق معك حلال من حرام في كل حياتك، وجاي تتلكك وتمسك لي في حتة فرعية وبتقول أنا الحتة دي شغلاني اوي، يبقى أنت بتخادع نفسك وبتخادع من حولك، أنت من الآخر بتجمل السوء اللي عندك، بيتك خربان من جوة وأنت جاي تدهن



لي الوجه أبيض، لا يُقبل له هذا ولا يُحتمل له هذا، ده أنت المفترض أصلًا تنكر عليه وهو ده كان تفسير الحافظ ابن رجب لفعل سيدنا عبد الله بن عمر، وبرضه نفس القضية في سيدنا سالم بن عبد الله بن عمر أنه لم يحتمل لهم هذا الموقف.

هذا التدقيق في الشبهات والورع عن بعض الجزئيات اللي ممكن الجزئية دي تحتمل الحلال وحرام تُقبل ممن كان حاله أصلًا في التورع هو المنهج العام اللي هو ماشي فيه، والمنهج العام الذي يعيش عليه، إنما واحد لا يتوقف ولا يرتدع وجاي يمثل دور الإنسان الورع في حاجة صغيرة؛ ده المفترض يُنكَر عليه؛ لأن أنت لو قبلت منه ده أنت أعنته على الباطل اللي عنده أصلًا، المنهجية دي منهجية خطيرة جدًا جدًا.

التورع مقام عالي، المفترض الإنسان بيصل إليه بعد تدرج مع النفس في ردعها عن الحرام الصِرف، وفي توقفها مع أوامر الله –سبحانه وتعالى– وهذه النفس تكون متدرجة في الخير، وصل بها الحال إن هو الحمد لله يقف على أبواب الخير ويصر عليها، وبيحمل نفسه حملًا على ما يرضي الله عنه، إنما الإنسان اللي هو لا يكون منضبط في حياته ويراوغ بإنه يجمِّل ظاهره بشيء من الصغائر، لأ، لا يقبل له هذا، اسمع بقى الكلام ده بيقول ايه، بيكمل بقى الحافظ ابن رجب: "وسأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها" واحد متجوز وأمه بتقوله طلق زوجتك، يعمل ايه يطلقها ولا لا؟ برضه نفس القضية احنا لو نظرنا للسؤال كده كمنظور فقهي آه هنبدأ نناقش، والله أصل ممكن كذا وممكن كذا، تعال برضه شوف نفس النظرة المنهجية التربوية؛ بيقول له ايه بقى "فقال: إن كان بر أمه في كل شيء ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل" ودي لقطة ظريفة الحقيقة، يعني هو طبعًا مسألة يعني إن أمر الوالدين، الوالد أو الوالدة يأمر الولد بالطلاق دي ليها تفصيل، يعني ده مش محله دلوقتي، أنا مثلًا حابب أقف مع الحتة المنهجية اللي هو بيتكلم عليها، هو أنت جاي بتقول ايه أنا عايز أبر أمي، فأمي بتقولي طلَّق زوجتي، فالراجل برضه قام ناقله هذه النقلة المنهجية، طيب أنا أقبل منك هذا القول لما تكون أنت ما شاء الله يعني بتبر أمك، وما شاء الله يعني شاب كده نسمة ومطيع للأم دي بحيث إن أنت فعلًا بتستفرغ وقتك وجهدك في بر الأم، إنما أنت حضرتك تكون يعني أساسًا عاق لهذه الأم وجاي عايز تبرها في دي، ده لا يقبل منك أصلًا.

نفس الفكرة متجيش تمثل على نفسك، هتقولي هو ده ممكن حد بيعمله، والله أنا شوفتها بعيني، أنا شفت بعيني من يقبِّل يد الأب ويد الأم يقبله أمام الناس، وهو فعلًا ممكن يصل لحالة إنه يضرب أبوه في البيت، آه ده موجود وشوفتها بعيني لأشخاص أنا عارفهم، فتخيل أنت المشهد بقى اللي هو مشهد تقبيل اليد اللي هو مفترض بقى يعني ده ايه عبارة عن مشهد سطحي ظاهري تحت منه المفترض بقى بر عظيم، يعني أنا بار لدرجة إن أنا حريص على إن أنا أُقَبِّل يد الأب حتى أمام الناس والكلام ده كله، لكنه مشهد التقبيل ده مجرد زيف، مجرد رتوش يجمل بها قُبْح ما هو عليه.

نكمل برضه الكلام، الحقيقة كلام منهجي مهم، قال: "وسُئل الإمام أحمد –رحمه الله– عن رجل يشتري بقلًا" اللي هو فول يعني "ويشترط الخُوصة" يعني عارف أنت بتشتري خضار فبيبقى مربوط فيها، الخضار بيتربط أحيانًا كده بايه بربطة كده، بتشتري شوية شبت، بقدونس الكلام ده كله يبقى مربوط بربطة كده يعني، فالراجل رايح يشتري خضار وبيشترط إن لما ياخد الخضار بيستأذن في الايه؟ في الرباط اللي هو مربوط به ده، ايه يعني، مش فاهم ايه اللي شاغله في حاجة زي كده؟ اه هو بيقولك أنا رايح أشتري الخضار، فأنا هدفع فلوس الخضار، الحاجات بقى الخُوص أو القماشة الصغيرة دي اللي مربوط بها الخضار المفترض إن هي مش داخلة معايا فأنا هستأذنه فيها، شوف بقى رد الإمام أحمد "قال: أيش هذه المسائل؟!" ايه ده، أنت بتسأل على ايه! حاجة جديدة بتسأل عليها ليه أصلًا؟ "قيل له: إنه إبراهيم بن أبي نعيم، فقال الإمام أحمد: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم، فنعم هذا يشبه ذاك" شوف بقى الكلام، الإمام أحمد بيقولهم ايه اه واحد زي ابراهيم بن أبي نعيم ده إنسان أصلًا ورع صالح، بيدور على أقصى درجات



الورع، أنا أتقبل منه إن ده يسأل على دي، إنما حد تاني أنا لا أقبل منه إنه يسأل السؤال ده، سبحان اللَّه طب هو يعني أخطأ إنه يسأل سؤال ده؟ آه أخطأ، ده خطأ منهجي؛ لا يُقبل من إنسان التدقيق في مسائل الورع، وهو من وراء هذه المسألة خوض في كثير من مجاهل الشبهات والشهوات والمعاصي، فلا يُحتمل هذه الدرجة العالية من الورع وهو أساسًا يترك ما هو أهم، مش أي حد يُقبل منه.

والكثير أيضًا من أهل العلم أشاروا لهذا الملمح، يعني الإمام المناوي –رحمة الله عليه– يقول: "ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار، ويتورع عن استناده إلى وسادة حرير أو قعوده عليها في نحو وليمة لحظة واحدة، ولسانه يفري في الأعراض غيبة ونميمة وتنقيصًا وازدراء، ويرمي الأفاضل بالجهل ويتفكه بأعراضهم، وكثيرًا ممن نجده يتورع عن دقائق الحرام كقطرة خمر ورأس إبرة من نجاسة، ولا يبالي بما هو أعظم" والله نحن نرى أمثال هؤلاء في حياتنا كثيرًا، واحد قدامك ايه ده معلش لا أنا مش هقدر كذا عشان الحتة دي فيها كذا، أصل مش عارف أنا سمعت إن كذا ده بيعمل كذا، في الظاهر ده مقام ورع عظيم فعلًا، لكن في الباطن هو بيجمِّل القبح الذي هو عليه، هو لا يتورع عما هو أعظم، لسانه يفري في أعراض الناس، ذمته تقبل أكل أموال الناس، أسهل حاجة عنده أذية الناس، طب هو ليه بيعمل كده؟ زي ما قولتلك تكتيك نفسي، تكتيك الهروب، تكتيك تجميل الباطن.

ازاي إن الإنسان يكون عايش سواد في سواد ووسط هذا السواد بيشعل شمعة صغيرة كده، قلبه من جوة عبارة عن أوضة سودة كبيرة جدًا، هو سايب بقى السواد ده كله ومركز على الشمعة دي، يعني ممكن يكون هو أساسًا فعلًا يفعل الكثير من المعاصي، بل ولا يبالي أصلًا بمسألة الخوض في المعاصي، يألف ما يألفه الناس حتى من المعاصي، لكنه يترك كل هذا وينشغل بإن هو بيفعل كذا من الخير، هو أنا الحمد لله أصل أنا بعمل كذا، يا عم طب ده كويس حالنا كذا طب أنا على الأقل بعمل كذا، بعض الناس بيصرح بده، بيصرح طب يا عم أنت جاي تكلمني أنا، طب ده أنا على الأقل بعمل كذا، أنت هتمن علينا بصلاحك! يعني أنت هتمن علينا أكمنك بتصلي أو أنت بتصوم، هذا أنت تفعله من مقتضى ما أوجبه الله عليك، ده مش مبرر إن أنت تخطئ ده حجة عليك، يعني كون إن انت بتفعل كذا، إنما الأصل إن صلاتك تنهاك عن الفحشاء والمنكر، الأصل إن صيامك يردعك عن كل الفواحش والمنكرات؛ لأنك ردعت نفسك أو أمسكت بزمام نفسك عن الطعام والشراب ونحو هذا بقى، يعني فين الأثر الحقيقي، الأثر التربوي لما تقوم أنت به من الخير؟ فين الأثر اللي بيعود على جوارحك عندما تقوم بهذه الطاعات لله –سبحانه وتعالى–؟ ازاي إن أنت تكون بتفعل كذا وكذا من الأمور الصالحة وفي نفس الوقت لا تستطيع أن تردع نفسك عن كذا وكذا من الأمور الباطلة، أو على الأقل إن لم تستطع أن تردع نفسك لا يكون في قلبك مثل هذا الإحساس، بإن هناك شيء خطأ أو إن أنت لما تقع في المعصية لا يكون في قلبك هذا التعظيم لأمر المعصية، لا يكون في قلبك هذا الشعور بالانكسار بين يدي الله –سبحانه وتعالى– إن أنت عصيته في هذا المقام.

يقبل من الإنسان آه إنه يكون على حال من الخير وفيه كذا وكذا، فإذا وقع في الزلل يكون في قلبه استشعار هذا الذنب، يكون في قلبه استشعار أنه أخطأ، يكون في قلبه استشعار أنه يريد أن يعود إلى الله –سبحانه وتعالى– بالتوبة، إنما إن هو يكون في قلبه استشعار التبرير، إن هو عنده آلية تبريرية لنفسه فيستطيع إن هو يبرر أفعاله، ويستطيع إن هو يعيش في هذا التناقض في سلام ده لا يقبل، وللأسف أغلبنا واقع في هذه الإشكالية، نحن نحترف التبرير لأنفسنا، نحترف التمرير للباطل داخل أنفسنا، العبد الموفق ليس من عُصِم من الوقوع في الزلل، لأ، ما منا أحد إلا وسيذل وسيخطئ، العبد الموفق هو من لا يكون مع نفسه على هواها، إنما يكون على نفسه ضد نفسه، ويكون من نفسه رقيبًا على نفسه.



أمر أخير برضه بختم به؛ فكرة إن احنا جانب الورع عندنا زي ما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية مقتصر فقط على حجب النفس أو منع النفس عن الحرام، بينما هناك باب آخر أيضًا من التورع النفس لا تهضمه ولا تفهمه؛ اللي هو حمل النفس على الواجب، وحمل النفس على المطلوب، قال شيخ الاسلام: "لكن يقع الغلط في الورع من ثلاث جهات: -هيقول بقى احدها-: اعتقاد كثيرٍ من الناس أنه من باب الترك" إن الورع بس أن أنا أكف نفسي عن الحرام، أكف نفسي عن ما نهى الله عنه، قال: "فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يُبتلى به كثيرٌ من المتدينة المتورعة" يعني الناس المتدينين المتورعين عندهم ده؛ إن هو فاهم إن الورع إن أنا أكف نفسي عن المحرمات "ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة، وعن الدرهم فيه شبهة؛ لكونه من مال ظالمٍ أو معاملةٍ فاسدة" ثم ذكر يعني بعض الذنوب اللي الناس تتورع عنها، قال: ولا يتورعون يعني عن تركهم لما أوجبه الله عليه، ودي حتة مهمة جدًا إن احنا فاهمين مفهوم الورع نفسه غلط، الورع ليس فقط في إن أنا أكف نفسي عن المحارم أو أكف نفسي عما نهاه الله عنه، لأ الورع له جانب إيجابي وجانب سلبي؛ جانب إيجابي في الفعل، وجانب سلبي في الترك؛

- الجانب الإيجابي في الفعل: هو إني أَحمِل نفسي حملًا على أداء ما عليها من واجب، وكذلك أن تكون ممن يتسابق في أبواب الطاعات.
- والجانب الآخر جانب الترك: فعلًا أن أنهاها عما أمرني الشرع بتركه، وأبتعد بها كذلك عن آفاق الشبهات.

لما تكتمل الصورة كده على بعضها هتفهم ايه هي المنهجية المنضبطة لتعامل النفس مع نفسها، تعامل النفس لابد أن يكون الإنسان صادقًا مع نفسه أمام نفسه وأمام الله -سبحانه وتعالى-، ألا يسترسل الإنسان مع هوى نفسه، أن يكون هو رقيب من نفسه على نفسه، ألا يكون هو من يبرر لنفسه بل يكون هو الذي يتهم نفسه "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"[٣]، دي منهجية، الصدق مع النفس أمام النفس، والصدق مع النفس بين يدي -سبحانه وتعالى-، لما تنضبط هذه المنهجية هتنضبط الحياة كلها، وهتنضبط موازين العبودية، وهينضبط سير الإنسان ومعاملاته؛ لأن اللي هيضبط نفسه مع نفسه هيضبط نفسه مع غيره، وهتنضبط كل الموازين اللي عنده.

طبعًا كل اللي احنا ذكرناه هيفسر لك الكثير من المشاهد التي نراها في حياتنا، بعض الناس يقولك معقولة فلان اللي بيعمل كذا وكذا يطلع منه كذا وكذا! نعم ممكن، طب هو مش فاهم وعارف؟ فاهم وعارف، طب ازاي وقع؟ من الحتة اللي أنا قولتلك عليها، خداع النفس وتجميل الباطل، والموفق من وفقه الله -سبحانه وتعالى-.

نعوذ بالله من الخذلان، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وإلى لقاء قادم إن شاء الله -وتعالى-، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[٣] مسند الفاروق - مشهور وفيه انقطاع

